OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

أشهر الرحلات في الأدب العربي الإسلامي

The Most Popular Trips in Arabic & Islamic Literature

❁ حسينة گلزار

باحثة الدكتوراة بقسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، بهاولبور

❁❁ د. راحيلة خالد القريشية

رئيسة قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية ، بهاولبور

ABSTRACT

Ancient Arabs are very well known for their travels in pre Islamic era. Books of Arab's history narrates in detail about the journeys which Arabs frequently made towards other countries or the cities of Arab itself mainly for the purpose of trade. Holy Quran has also pointed out to this in famous Surah Al Quraish.

Travelling had been in fact, a part of their culture as they used to travel from one part of their own homeland to other or they shifted from one part of their territory to other to make the both ends meet by searching food (mainly grass for their cattle) and water sources. In the following lines of research paper, famous travels of Arabs, the places which they visited during their journeys and the purposes of their journeys are discussed in detail.

Keywords: Pre Islamic, Travel Literature,Arab society, polytheism**,** Arabic poetry**.**

إنّ الأدب العربى من أهم آداب الأمم الذى ينعكس تمدنها، حضارتها ومستوى العيش لها وبلغت على قمتها فى العصرالعباسى الزاخر وظهرت فيها فنون كثيرة مثل الرسالة والكتابة والمقامة والموشح وشاع فيه أدب الرحلة. فالشعب العربى كان مفطوراً على حبّ الرحلة والسفرمنذ نشأته كما نجد فى التاريخ أخباراً متواتراً عن تنقله وأسفاره فى سبيل الرزق والتجارةوالمعرفة، فلمّا جاء الإسلام اندفع الشعب العربى إلى خارج الجزيرة، وكثر التأليف فى المسالک والممالک وظهرت كتب الجغرافية وامتاز هذا النوع من الأدب لأنه يرتبط جميع علوم البيئة ارتباطاً وثيقاً واستفاد بها المؤرخون والجغرافيون وغيرهم.

الرحلة لغة واصطلاحاً: الرحلة فى اللغة ''الترحيل والارتحال'' بمعنى ''الأشخاص والإذعاج'' يقال

رحل الرجل إذا سار.(1) فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب فى الأرض ''والارتحال'' بمعنى الإنتقال من مكان إلى مكانٍ آخر، ويقول العرب رحل البعير يرحله رحلاً ، فهو مرحول ورحيل، وارتحله، جعل عليه الرحل، قال الأعشى:

رحلت سمية غدوة أجمالها غضى عليک فما تقول بدها(2)

وقيل ناقة رحيلة أى شديدة قوية على السير وجرى المنطق.(3) و قيل: ''ارتحل القوم عن المكان ارتحالاً'' قال رحلت من أقصى بلاد الرحلة.(4) وقال أيضاً ويرحل الثيب عن دار يحل بها.(5) و وردت هذه الكلمة بمعنى الجهة التى يقصدهاالإنسان للرحلة والارتحال والرحلة بالضم الوجه الذى تأخذ فيه وتريده، تقول(6) أنتم رحلتى أى الذين ارتحل إليهم. كما تطلق كلمة الرحلة أيضاً على''السفرة الواحدة''(7) ومنه أخذ لفظ ''الرحيل'' والرحيل إسم ارتحال القوم المسير: قال:(8)''أماالرحيل فدون بعد غد''- ومنها أخذ لفظ رحّال وهو الشخص المنتقل من مكان إلى آخر، فالرحال صفة مشتقة من الفعل الذى قام به وهو الرحلة.''والشخص الذى قام بالرحلة وانتقل من موطنه إلى آخر متجهاً إلى جهة غيرموطنه وسار إليها''.

الرّحلة اصطلاحاً: ''كل رحلة تحرك هدف واختيار مؤكد حتى لو ضربت فى ظلمة المجهول وتخبطت على الطريق وصولاً إلى الهدف''.(9)

تذكرة الرحلات في القرآن الكريم

إنّ الإسلام دين حضارى متنور ودولة منفتحة، ولأن التحضر والتفتح يكفل التقدم ويؤمن حركة الحياة ويدعمها ،ويبشرها بحياة أفضل، فلقد امسك المسلمون بزمام الرحلةوتحمسوا لها(10) وإن الإسلام حثها على فعلها سواء كانت للعلم أو الهجرة من أرض الشرک إلى أرض الإسلام أو الحج أو الكسب أو الرزق أو التجارة. ومن أوثق وأصدق مصادرنا الإسلامية حفل القرآن الكريم بالأمثلة العديدة لكل نوع من الرحلات من عدم ورد لفظ رحلة بنفسها إلّا مرّة واحدةوهو فى سورة قريش.(11) ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ o إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ o فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ o الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ o ﴾

فهذه هي صورةجديدة أفردت فيها الحديث للرحلة بكامل وهي رحلة قريش تجارية وأظهرت هذه السورة بوضوح رحلتى العرب إلى بلاد الشام واليمن والّتى جنت منهما أرباحاً طائلة انعكست آثارها على أوضاعها الاقتصادية، وغدت ذات مركز المالى كطير فى الحجاز وسوقاً لتبادل السلع، ولم يكن هدفها من الاستيراد الاكتفاء الذاتى فقط، بل قامت بتصدير الفائض عن حاجتها إلى أطراف السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية والشام واليمن والسواحل الأفريقية المقابلة، حيث بلغت أحمال كل قافلة لتلك الجهات أكثر من ألف بعيراً.(12) وأكثر تجارها من سدنة وأهل بيت الله الحرام الذى زادت مهابته فى نفوس الناس عقب حادثة الفيل وبالمنّ الّذى منّ الله عليهم كما جاءت فى سورة قريش.(13)وأما لمنطق التجارة وردت بمعنى الرحلة في سورة ابراهيم كما قال الله تعالىٰ على لسان خليله ابراهيم عليه السلام.(14) ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ نجد فى القرآن الكريم كلمة ''سفر'' بمعنى رحلة فى طلب العلم كما ذكر قصة موسى مع خضر عليهما السلام فى سورة الكهف.(15) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا o فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا o وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا o فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾

فموسى عليه السلام بالرغم من بلوغه تلك المرتبة العالية عند الله تعالىٰ واختصاصه بكلام الله تعالىٰ رحل اصراراً على لقاء العبد الصالح بعد النظرة عن المسافة والمشقة وطالباً بأدب وسائلاً إيّاه، أن يعلمه مما علّمه الله تعالىٰ واشتراطه بعدم الاستفسار مما يراه مخالفاً لشريعته مقابل ذلك يفسر له ما غمض عليه ويمضى السرد القرآنى إلى أن يفترق.(16) ومن الآيات الواردة نستنتج أن الإستزادة من العلم واجبة على الإنسان ، وأن الاستزادة فى العلم يتطلب البحث والانتقال يطلبه عن مكان إلى مكان آخر أو من بلد إلى بلد آخر.وكما أن القرآن الكريم يحثّ على الرحلات الاستكشافيه و وضع مدبر الكون فى الإنسان دافعاً للاستكشاف كل ما حوله والاستفادة منه فى معرفة عظمة الخالق(17)﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (18)ومن أهم دوافع الرحلات عند المسلمين هو تأدية فريضة الحج كما قال الله

تعالى:(19)﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ولو كان حج البيت الحرام قديم منذ أيام خليل عليه السلام ولكن لما جاء الإسلام فألزمه به مرة للقادر على ذلك قال الله تعالى:(20)﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾وكره المسلمون التجارة وإقامة الأسواق فى موسم الحج فأنزل الله تعالىٰ الآية وقرنت الحج بالتجارة فقال:(21﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ لقد كانت المهارة التامة للعرب فى التجارة قبل الإسلام و اتسع نظامهم بعد مجئ الإسلام تبعاً لإتّساع دولتهم و حثّهم الله تعالىٰ فى القرآن الكريم:(22) ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

تذكرة الرحلات في الحديث النبوى: أما كلمة الرحلة من ناحية الحديث النبوى فقد جاء فى معانى عديدة وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد فركبه الحسن فأبطأ فى سجوده فلما فرغ فسئل عنه فقال:''وإبنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله أى جعلنى كاالراحلة فركب على ظهرى'' (23). وفى حديث إبن مسعود رضي الله عنه ''إنما هو رحل أو سرج فرحل إلى بيت الله، وسرج فى سبيل الله''(24)، ووردت هذه الكلمة فى حديث الآخر بمعنى آخر، فقال النبى صلى الله عليه وسلم:''تجدون النّاس بعدى كإبل مائة ليس فيهما راحلة'' فالرحلة هنا نادرة فى الإبل الكثيرة(25) فنحن نجد هناك معنى التحرك لشئٍ أى ينتقل من مكان إلى آخر و نجد أحاديث متعددة تدلّ على الرحلة فى سبيل العلم، والمعرفة فالصحابة رضوان الله عليهم ومن بعد هم التابعون والعلماء وبعض الخلفاء المسلمين يستشهدون بأحاديث الرسول الخاصة على العلم وفضله.(26) وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(27)''سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحباً''.وعن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(28)''من جاء فى مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلّمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله ومن جاء لغيرذلك فهو بمنزلة الرجل ينتظر إلى متاع غيره''. إنّ الصّحابة ومن بعدهم التابعون أكبواعلى العلم ينهلون منه

ورحلوا للأخذ إلى المدارس المنتشرة فى الأقطار الإسلامية وغيرها والتى يمثلها العلماء الموجودون بهذا بعد أن استقروا بها كما خرج جابر بن عبد الله إبن أنيس فى طلب حديث المظالم فرحل إليه حتى قدم عليه الشام وسمع منه ثم انثنى عائداً.(29)

أشهرالرّحلات فى العصر الجاهلى: كان عرب الشمال يعيشون حياة بدوية ليس لهم نظام حياة اجتماعية فإنّهم يرتحلون فى طلب الماء ولكن بعد واقعة سيل الإرم كان التجار ينتقل إلى شمال العرب وخاصة أهل قريش فأنهم يذهبون لغرض التجارة إلى الأقطار البعيدة.وقد وردت تذكرة أسفارهم ورحلاتهم إلى الشام واليمن فى الشتاء والصيف فى سورة ''القريش'' إذ قال الله تعالى ﴿لإيلاف قريش ----﴾ الاية ، التى ظهرت منها آثاراً شائعة على أوضاعها الاقتصادية وكما أننا وجدنا الشاعر الجاهلى إمرأالقيس الّذى رحل إلى قسطنطنية للاستعانة ضدّ أعدائه كما وجدنا أن صحابى الرسول صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضي الله عنه سافر إلى مصر لغرض التجارة مرّة كثيرة قبل الإسلام.

الإسلام وإهتمام الرحلة فى الكشف الجغرافى: إنّ الإسلام يحثّ على الاستكشافات الجديدة فالمسلمون ماأمسكوا بزمام الرحلة وأحمسوا لهذه فقط بل التهبوا نشاط الرحلة الإسلامية، فى أطار إهتمام رشيد وأمن وتحولات تبشر بحياة أفضل وحصادٍ وفيرٍ.ونالت الرحلة الإسلامية حقها كاملاً فى الإهتمام والأمان من ناحية، واستحقاقها فعالاً من قوة الدوافع والحوافر على الطريق فى البر والبحر من ناحية أخرى و واصل نفر نشيط من المسلمين أصحاب الخبرة فى الرحلة ليؤدى دورهم الوظيفى الذي فيه أمسك المسلمون بزمام الفكر الجغرافى والتهب هذا التفكير الإسلامى الجغرافى فى إطار و اهتمام رشيد وتحولات، كما عكف بعض المسلمين على الفكر الجغرافى القديم المهجور، وعملوا على استيعابه وإحيائة، قبل أن تكون الإضافة المجادلة إليه.(30)

الرحلات فى العصر الإسلامى: نجد الرحلات المتنوعة التى ورثها المسلمون ضمن الشركة في الحضارة الإسلامية آلت عليهم فى الحضارة الماضية وهي رحلة التجارة ورحلة الجهاد ورحلة السفارة، ولكن الإسلام أضاف فيها ثلاث رحلات جديدة القائمة الرحلات المتنوعة التى تلبت أوتجاوبت جهات الحياة وتنوعها وتمثلت هذه الإضافة التى عن

مبلغ تنشيط الرحلة في هؤلاء الرحلات الثلاثة

1. رحلة الحج
2. رحلة طلب العلم
3. رحلة التجاول والطوائف(31)

رحلة الإسراء والمعراج: من بداية الرحلات فى الإسلام وأشهرها رحلة الإسراء والمعراج لا نظير له فى التاريخ فهي من أسرع الرحلات فى تاريخ العالم ، قال الله تعالىٰ فى القرآن الكريم:(32) ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وأسرى بعبده هناك معناه سير عبده وأسريت إذا سرت ليلاً.(33) إن واقعة الإسراء ثابتة متواترة منذ حدثها فقد سيره سبحانه وتعالىٰ ليلاً إلى المسجد الأقصى وسمّى الأقصى لبعده عن المسجد الحرام فهو لا يبلغه إلا بالرحلة و راحلة. وقال المفسّرون إنّما قال ليلاً بلفظ التّنكير لتقلة مدة الإسراء ، وإنّه أراد به المسافات الشاسعة البعيدة فى جزء من الليل وكانت مسيرة أربعين ليلة(34) وغرض هذه الرحلة رؤية آيات الله تعالىٰ والوقوف عليها.

الرحلة إلى الطائف: من بداية الرحلات فى العصر الإسلامى رحلة النبى إلى الطائف يدعو إلى الإسلام ، بعد أن آذاه بآهله، فلم يجيبوه وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم فى الرجوع إلى مكة محزون القلب لأنه لم يتحقق مما كان يبغيه فيه رحلته.(35)

رحلة من أرض الشرك (من مكة إلى المدينة): فهذه رحلات حدثت فى وقت مبكر من الدعوة فلما كثر المسلمون واشتد العذاب والبلاء عليهم من الكفار أذن الله تعالىٰ للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة(36) قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:(37)''لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملك لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله فرجا مما أنتم فيه''. وأرض الحبشة تقع فى مكة بجانب الغربي، وبين البلدين صحارى السودان والبحر الأحمر من اليمن إلى القلزم(38) فمنهم مَن خَرَج وحيداً ومن هم مَن خَرَج بأهله، فكان الجميع من لحق بأرض الحبشةوهاجَر إلَيها من المسلمين ثلاثة وثمانين رجالاً وثمانى عشرة نسوة(39) و هنا رحلة مصعب بن عمير رضي الله عنه عقب بيعة العقبة الأولىٰ إلى المدينة المنورة مع وفد العقبة ليدرّسهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم الدين.(40)

رحلات الوفود لإعتناق الإسلام:بعد استقرار الرّسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنوّرة وانتشار دعوته بين القبائل العربية قدمت عليه الوفود راغبة فى اعتناق الإسلام، ومنها وفد عبد القيس حيث أرشدهم لتعاليم الدين الإسلامى الصحيح، وكانو يجدون المشقة فى القدوم عليه لحيلُولة قوم من الكفّار بين ديارهم والمدينة ، فأجابهم ما سألوه فى الشئوون الدينية ليكونوا دعاة الدين الإسلامى لقبيلتهم والقبائل المجاورةلهم(41) فمنهم من يأتى وحيداً ويكون سبباً فى الإسلام لقومه مثل ضمام بن ثعلبة.(42)

رحلات لفهم التعليم والقواعد: من أغراض الرحلة فى بداية عهد النبى صلى الله عليه وسلم هو فهم ومعرفة فى مبادئ الدين والقواعد ومنها رحلة أبى ذر الغفارى إلى مكة المكرمة أبان مبعثه للتثبيت مما يدعو إليه أكبّو بعد هؤلاء الصحابة ومن بعدهم من التابعين إلى الرحلات لفهم التعاليم الإسلامية. ورحلوا للأخذ من المدارس المنتشرة فى الأقطار الإسلامية والتى يمثلها العلماء الموجودون بها بعد أن استقروا بها مثل زر بن حبيش خرج للقاء صفوان بن عسال المرادى و أخذ عنه، فسأل عنه صفوان، ماجاء بك؟ قال ابتغاء العلم (43)، وسنجد غيرها رحلات متوفرة للتعليم الدين والقواعد مثل رحلة الإمام البخارى رحمه الله وإمام مسلم رحمه الله وغيرهما رجال الدّين.

رحلات الجواسيس: وجد هذا النوع من الرحلات منذ بدء الإسلام ، وتنوّعت أغراضها أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فمنها ماكان بغرض التجسّس على الأعداء مثلما حدث فى غزوة بدر حين بعث الرسول صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضي الله عنه والزبير بن عوام رضي الله عنه وسعد بن أبى وقاص رضي الله عنه فى نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر(42) عرفت الدولة الإسلامية نظام الجواسيس لمعرفة خطط المشركين ضدها ، وأول من أوكل له القيام بهذا العمل هو عبد الله بن أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقد أمره أبوبكر بالتحدرى عن أقوال قريش فيه وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاراً ويأتيه بالأخبار ليلاً فى غار ثور عند هجرتهما إلى المدينة.(45)واستمرّ هذا النوع من الرحلات الاستكشافية فى عهد الخلفاء الراشدين ومن تلاهم من الخلفاء الرّاشدين ومثال على ذلك ما حدث فى معركة القادسية حيث بعث مَن بَعث ومن بُعِث كاشفا إلى الحيرة فأتاه الخبر بأن الملك قد أمر على الحرب رستم بن الفرخزاد الأرمنى وأمدّه بالعسكر.(46)

رحلات لمراجعة الأحاديث النبوية: لم تنقطع سلسلة الرحلات بعد وفاة النّبى صلى الله عليه وسلم لتفرّق الصحابة فى البلدان المفتوحة بل كثرت رحلاتهم لمراجعة الأحاديث النبوية خشية نسيانها وحفظها عليها ومن أمثلة هذه الرحلات رحلة جابر بن عبد الله ،عبدالله بن أنيس ورحلة أبى أيوب لعقبة بن عامر، وقد رحل االتابعيون أيضاً لطلب الحديث حتى لضبط حرف منه(47) ومنها ما قدم البخارى إلى البصرة فطلبوا منه أن يعقد لهم مجلسا للإملاء فأجابهم وحدّد لهم موعد المجلس الذى حضره جمع غفير من الفقهاء والمحدثين والحفّاظ والنظّار، حدثهم فيه بأحاديث ليست عندهم بالأسانيد التى ذكرها.(48)

وقال البخارى عن نفسه معبّراً عن رحلاته الكثيرة قائلاً: ''دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرّتين وإلى البصرة أربع مرّات، وأقمت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصى كم مرّة دخلت الكوفة وبغداد مع المحدّثين.(49)

رحلات التّجار: لم تكن رحلات المسلمين مقتصرة على الناحية العلمية التى حظيت بالنصيب الوافر، بل كان للتجارة دوركبير، خاصة أن سلاطين المسلمين التجارية أخذت تجوب جميع البحار فليست رحلاتها قاصرة على المناطق الإسلامية وصلت إلى المناطق شاسعة فى الهند والصين والبلدان الأوربية وغدالمسلمون بفضل نشاطهم البحرى ذوى شهرة كبيرة وأصحاب ثروة هائلة .(50) وقد أسهمت رحلات التّجار إلى تلك المناطق النائية فى معرفة الكثير من أحوالها ومن أشهر التّجار فى هذا المجال سليمان السيرافى وإبن وهب القرشى، وقد أفاض المسعودى فى سرد رحلة إبن وهب القرشى الّتى نقلهاعن زيد الحسن السيرافى(51) ومع الأسف لم يكن شائعاً فى ذلك الوقت مدوّناً تلك المعلومات فى كتب معروفة، بل عرفت عن طريق أصدقاء الرحلة من معاصريه، أو من خلال الأجيال التى تناقلها بعد ذلك، وقد شكلت تلك المعلومات مادة علمية غزيرة استطاع المؤرّخون الأوائل الإستفاذة منها فى كتاباتهم أنّ تلك البلدان سواء فى النواحى السياسية أو الحضارية وللدلالة على ذلك ما أورده المسعودى من خبر رحلته أحد التجار سمرقند إلى الصين وما لحقه من ظلم فى مدينة خانقو من جانب الضرائب فما كان منه إلا أن رفع مظلمته إلى ملك الصين فأنصفه.(52)

فيمكن بإنتقال التجار قيم نوع من الرحلات ، وهي الرحلات الجغرافية لوصف الطر ق المؤدية إلى البلدان المفتوحة وصف أحوالها حيث اقتضت مصلحة الدولة ذلك(53) فقد موا وصفاً جغرافياً دقيقاً لها ومن أمثلة هؤلاء إبن فردازبة. وقد اعتمد الجغرافيون فى تصانيفهم على الوصف والمشاهدة والملاحظة فنمت معارفهم الجغرافية ، وأصبحت مؤلّفاتهم ذات أهميةكبيرة مما حدد للخلفاء أعمالهم الوظيفية اقتصرت مهمتهم على كتابة التقارير الجغرافية عن الأمصار المفتوحة.(54) وبكثرة رحلات التجار عند المسلمين توفرت كثير من المعلومات عن الأقطار التى يراد فتحها ومثال ذالك مارواه اليعقوبى عن طلب عمرو بن العاص رضي الله عنه لفتح مصر من الخليفة عمربن الخطاب رضي الله عنه وترغيبه فى ذلك فهو يقول: (55)''يا أمير المؤمنين تأذن لى أن أصير إلى مصر فإنا أن افتحناها كانت للمسلمين، وهي من اكثر الأرض أوالاً وأعجزة عن القتال''. لأنّنا نرى روايات كثيرة تدلّ على أن عمرو بن العاص رضي الله عنه يذهب إلى مصر بسبب اشتغاله بالتجارة قبل الإسلام كما وجدنا ذكرها فى كتاب فتوح مصر وأخبارها.وبا الإضافة إلى علم حكام الدولةالإسلامية بالبلدان فقد أرسل عمربن الخطاب رضي الله عنه رسالة إلى سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه يأمرفيها أن يصف له منازل المسلمين قبل المعركة القادسية كأنّه ينظر إلى أرض المعركة.(56)

ورُبَما كنّنا ارجاع العناية بالأقاليم ووصفها بداية التأليف لأخبار الفتح والمغازى، يضاف إليه أن اتّساع الدولة الإسلامية تطلب الوصف والدراسة تمهيد التطبيق أحكام الشريعة، وتسهيل لمهمة الولاة.(57) ويتضح لنا من جميع هذا البحث اختلاف أغراض الرحلة والإرتحال، والتى فى جملتها اقترحت لنا أدباً مميزاً يمكن أن نطلق عليه أدب الرحلة، ولا شكّ أن فى امتع كتب الرحلات وأرفعها قيمة علمية وأدبية، هي تلك التى قام أصحابها بتأليفها بسبب خروجهم للحج أو طلب العلم أو الإثنين معاً. وكانت حاضرالعالم الإسلامى مركز علم واشعاع، خاصة بمكة المكرمة ومدينة المنورة، فكانت العلماءيقصدونها بغية التزود بالعلم و المعرفة يفد إليهما الوافد من أقصى المغرب أو المشرق فيلتقى بعالم آخر من بلاد بعيدة عن بلاده. فيحصل من هذا الإتقاء تقرب تفاهم واستزاده علم وامتداد المعرفة وانتشار الأفكار بين مختلف الأقطار الإسلامية.(58)

الهوامش

1. الأفريقي ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور ،لسان العرب، ج11/، ص276
2. الأصفهاني، أبوالفرج ،الأغاني، ص93/3، الأندلسي، ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ص320/2، المرزباني، أبوعبدالله بن محمد بن عمران ، الموشح في ماخذ العلماء علي الشعر ، ص304/1، المصدر السابق، ص277
3. الأفريقي ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور ،لسان العرب ص278
4. المصدر السابق، ص278
5. المصدر السابق، ص278
6. المصدر السابق، ص279
7. الفيروز آبادى: مجدد الدين محمد بن يعقوب العلامة اللغوى : القاموس المحيط، ج3/، ص394/، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى 1421هـ- 2000م
8. المصدر السابق ، ج3، ص395
9. الشامى صلاح الدين على (د): الرحلة عن الجغرافية البصرة فى الكشف الجغرافية والدراسة الميدانية، الطبعة الثانية، للأسكندرية 1999م، ص11
10. المصدر السابق، ص211
11. القرآن الكريم، سورة القريش: 4-104/1
12. دكتورجوادعلى (د)، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص290
13. عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية الأندلسية، ص30
14. القرآن الكريم، سورة ابراهيم: 16/37
15. القرآن الكريم، سورة الكهف: 60-18/75
16. القرطبى، الجامع الأحكام القرآن، ج11، ص33
17. المصدر السابق،ص ج11، ص16
18. القرآن الكريم، سورة الجاثية:13/45
19. القرآن الكريم، سورة الحج:27/22
20. القرآن الكريم، سورة آل عمران:97/3
21. القرآن الكريم، سورة البقرة:198/2

22. القرآن الكريم، سورة الإسراء:66/17
23. سنن النسائي، بحاشية السندي، مكتبة المطبوعات الاسلامية، حلب، الطبعة 1986م ص230/2
24. ابن الأثير، مجدالدين أبوالسعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية ، بدون التاريخ، ص57/2
25. الأفريقى ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور ، لسان العرب، ج11، ص290
26. البخارى محمد بن اسماعيل ،الصحيح البخارى، بحاشية السندى، ص405/1
27. المصدر السابق، ج1، ص406
28. إبن ماجة: الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى، السنن، ج1، ص90-91
29. إبن عبد البر،جامع بيان العلم وفضله، ج1، ص111-112
30. الشامى ،صلاح الدين على الشامى (د): الرحلة عن الجغرافية البصرة فى الكشف الجغرافى والدراسة الميدانية، الطبعة الثانية، للأسكندرية، 1999م، ص11
31. المصدر السابق، ص125
32. القرآن الكريم، سورة الإسراء 1/17
33. الأفريقى، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور، لسان العرب، ج14، ص282
34. القرطبى:الإمام محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح أنصارى، خزرجى، قرطبى، أندلسى، مالكى، الجامع الأحكام القرآن، ج1، ص212
35. إبن حزم ،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ،جوامع السيرة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج1، ص240
36. إبن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص231-232
37. إبن حزم،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، جوامع السيرة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج1، ص55
38. إبن هشام، عبد الملكبن هشام ،تهذيب سيرةإبن هشام، ج1، ص82
39. أحمد الناجى، سيرة محمد رسول الله، ج2، ص39
40. إبن هشام، عبد الملكبن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص348
41. صحيح مسلم، إمام مسلم، ج1، ص187-188
42. إبن الأثير، أبو الحسين على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم، أسد الغابة، ج٢، ص1439
43. القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبدالله، جامع بيان العلم وفضله، باب ذكر حديث صفوان بن عسال في

فضل العلم، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، الطبعة الأولي 1994، ص158/1، الهيثمي، مجمع الزوائد ،ص131/1

44. إبن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص222-223
45. إبن الأثير، أبو الحسين على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم، أسد الغابة، ج5، ص101
46. إبن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، ج7، ص37
47. عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية الأندلسية، ص48
48. البغدادى، أبو بكر أحمد على بن على الخطيب، تاريخ بغداد، ج2، ص15-16
49. إبن حجر، شهاب الدين أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى، هدية السارى، ص486
50. محمد محمود الصياد، رحلة إبن بطوطة، ص7-8
51. المسعودى،على بن الحسين بن على أبو حسين، مروج الذهب، ج1، ص144
52. عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية الأندلسية ، ص46
53. عبد الرحمٰن حميدة، أعلام الجغرافين ومقتطفات من آثارهم، ص41
54. البلوى، تاج الفرق، ج1، ص86
55. اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر العباس، تاريخ اليعقوبى، ج6، ص147
56. الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص9
57. أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص10-11
58. المرجع السابق، ص13